خلال حرب العامين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، وثانياً، الى ملء الفراغ الناجم عن انسحاب قوات الردع العربية (السورية) من القاطع الساحلي وبعض انحاء بيروت في اوائل العام ١٩٨٠، وتضاف الى ذلك عوامل أخرى؛ أولها دخول م.ت.ف. في جولة سياسية دبلوماسية، مما شجعها على بناء قوة عسكرية «نظامية» تُقنع الاطراف الخارجية بجدية ومصداقية المنظمة، وبقدرتها على خلق مؤسسات الدولة، وثانيها توفير الاداة القادرة ليس على ردع الخصوم المحليين فحسب، بل وخوض حرب استنزاف مع اسرائيل أيضاً، على غرار صدام تموز (يوليو) ١٩٨١. وانعكس هذا الاتجاه في الحصول على الاسلحة الثقيلة وبناء التحصينات، علماً بان م.ت.ف. عجزت عن إقناع أصدقائها العرب والسوفيات بتقديم نظم الاسلحة الدفاعية المتطورة اللازمة لدرء الخطر الاسرائيلي، كصواريخ سام ـ ٦ أرض ـ جو و«فروغ» أرض ـ أرض. ويذكر الخالدي جانباً من عملية البناء العسكري الفلسطيني خلال السنة التي سبقت الحرب، لم يشدد عليه غيره من المعلقين بما فيه الكفاية، ألا وهو نقل القوات الاحتياطية الى المدن، حيث ستكون المعارك الحاسمة، وتكديس الذخائر والمؤن والمواد الطبية في جميع المناطق، تحسباً لانقطاع طرق المواصلات البرية فيما بينها. كما هيأت م.ت.ف. مقار قيادية بديلة محصنة في بيروت، ثبتت اهميتها القصوى خلال الحصار، إذ فشل الطيران الاسرائيلي، كلياً، في اصطياد أي قائد فلسطيني. ولعل هذا الجانب كان اهم بكثير، عند مراجعة التجربة في تعزيز قدرة م.ت.ف. على الصمود عسكرياً، من الجوانب الاخرى المتمثلة بزيادة التسلح وتوسيع التشكيلات المقاتلة.

انما يشير المؤلف، نهاية، الى ثلاثة عوامل سياسية أضعفت، الى حد بعيد، القدرة الفلسطينية على الصمود العسكري طويل الاجل، في وقت كانت م.ت.ف. احوج ما تكون اليها، وهي: تأزم العلاقات الفلسطينية ـ السورية، وخاصة إثر الاعلان عن «مشروع فهد» والاشتباكات الداخلية في طرابلس، مما حدا بسوريا سحب بعض الوحدات والاسلحة المضادة للطائرات من بيروت وضواحيها والمخيمات عشية الحرب؛ وتوق اللبنانيين الى حل، مهما كان ثمنه، وهو شعور لم تفهمه م.ت.ف.، بأعماقه وأبعاده الكاملة؛ والقناعة الفلسطينية الخاطئة، التي نبعت من الخبرة السابقة في عامي ١٩٧٨ و ١٩٨١، بأن واشنطن ستضع حدوداً للمغامرات العسكرية الاسرائيلية ولن تسمح بالمضي حتى نهايتها.

يعرض المؤلف، في الفصل الثاني، صورة شاملة عسكرية لعملية احتلال الجنوب ومحاصرة بيروت من قبل الجيش الاسرائيلي، مؤكداً ان اهمية ذلك تنبع من دور الوضع العسكري في التأثير في صنع القرار، ومن كون م.ت.ف. حركة سياسية وعسكرية في آن. ويضيف الخالدي ان **توقعات** كل من اسرائيل و م.ت.ف. التي سبقت الحرب تشكل عنصراً مركزياً في تقييم القتال. فيثير بذلك نقطة جوهرية ستظل موضع جدل لفترة مقبلة، ألا وهي مدى استعداد م.ت.ف. للحرب: فهل قامت بما يجب، وبما كان يمكنها ان تقوم به ؟ وهل حققت ما يمكن ان تحققه، بما توفر لديها من امكانيات ؟ يذكر المؤلف انه، نظراً الى موازين القوى الفعلية، لم يكن بوسع اسرائيل ان «تخسر»، ولم يكن بامكان م.ت.ف. ان «تربح». فيبقى السؤال الضروري إذاً: «الى أي حد زاد، أو قل، اداء كل طرف عن توقعاته وتوقعات غيره ؟ وأيضاً، الى أي مدى تنبأ، وخطط، كل طرف بصواب لما كان قادماً ؟» (ص ٤٤).

يمهد المؤلف لمناقشته لهذه النواحي باستعراض نتائج الحرب بالنسبة الى اسرائيل، ملاحظاً انها لم تحقق أياً من اهدافها الاساسية، بما فيها إنهاء م.ت.ف. عسكرياً وسياسياً في الارض المحتلة واعادة الهدوء الى الجليل وطرد السوريين من لبنان واقامة نظام حكم جديد في بيروت. ويضيف الى هذه الخلاصة استنتاجاً هاماً مفاده أنه لم يكف للجيش الاسرائيلي ان يهزم م.ت.ف. عسكرياً، بل كان يترتب عليه ان يحقق نصراً نفسياً ساحقاً يتمثل في انهيار القوات العربية وهروبها من كل موقع. وبما ان الخطة العملياتية الاسرائيلية اعتمدت على حصول مثل ذلك الانهيار، فقد فشلت الخطة الاستراتيجية الشاملة، ومعها الآمال السياسية المعلقة بالتوقعات العسكرية، عندما صمد المدافعون. ويدخل الخالدي بعمق اكبر في التوقعات الميدانية للجيش الاسرائيلي، بعد استعراض اهم معالم مراحل الحرب الاربع ـ معركة جنوب لبنان من ٤ ـ ٩ حزيران (يونيو)، ومعركة محاصرة بيروت من ٩ ـ ١٣ حزيران (يونيو)، ومعركة الجبل